فلسفة المؤتمر

د. عبد المنعم المشاط ـ د. ناهد عز الدين

ليس بجديد على المنطقة العربية أن تكون بؤرة للتوتر، وساحة مهيأة للصراع فى أى لحظة، وإن اختلف الزمان والمكان.. لذا لم يعد اندلاع مواجهة عسكرية بين عشية وضحاها مفاجأة، بيد أن تلك الحرب الأخيرة التى شنتها إسرائيل على لبنان حملت معها مفاجآت عديدة، كما أتت زاخرة بمفارقات غير مسبوقة لم تعرفها المنطقة من قبل، حتى يمكن القول بأن تلك الحرب قد قلبت الموازين، ليس فقط على المستوى الإقليمى؛ بل وأيضًا على المستويين الدولى والقطرى؛ وهو ما استدعى من كافة الأطراف المباشرة وغير المباشرة وقفة جادة لمراجعة الحسابات وإعادة ترتيب الأوراق، فى ضوء ما أسفرت عنه تلك المواجهة من تداعيات ما زال أغلبها فى طور التشكيل والتتابع.

ومع الاتفاق على ضرورة التمييز بين نتائج الحرب فى المديين المتوسط والبعيد؛ كان من منطق الأمور أن يسعى المراقبون والمحللون إلى الخروج من دائرة اللحظة الراهنة إلى نطاق الاستشراف والتوقع لما قد يأتى به المستقبل من مستجدات؛ ذلك أن كلا الأمرين (أى الحدث وتداعياته) كانا وما زالا محلا للجدل ومثارًا للمناقشات لكل مهتم أو مهموم بهذه المنطقة من العالم. وفى هذا السياق تباينت التحليلات والتفسيرات ما بين رأى يجزم بأنها كانت حربًا مخططة وأحداثًا مرسومة وبدقة، على الأقل من الجانب الإسرائيلى، ورأى آخر يؤكد أنها حتى وإن بدت كذلك؛ فإن مسارها وتطورها خرج عن نطاق السيطرة والاستيعاب لكلا الطرفين، كما وجهت الأحداث صانع القرار وجهات مختلفة عن تلك التى خطط لها من قبل.

وفى الوقت الذى ذهب فيه فريق إلى توجيه اللوم للمقاومة ممثلة فى حزب الله بوصفه البادئ أو المبادر بخطوة غير محسوبة، أو مغامرة جرَّت على الشعب اللبنانى والدولة

اللبنانية كل هذا الحجم غير المسبوق من الدمار والويلات، وكاد يورط معه المنطقة بأسرها فى حرب لم تخترها أىٌّ من دول المنطقة، ناهيك عن التوقيت غير المناسب؛ ذهب فريق آخر إلى توجيه كل التحية والإكبار لنفس المقاومة مثنيًا على صمودها، وما أبدته من قدرة رفيعة فى الميدان وتصديها للعدوان الإسرائيلى، ودفاعها ببسالة لقنت الجيش الإسرائيلى درسًا مريرًا، وأصابت قيادات إسرائيل بما يشبه الصدمة؛ مما دفعهم لأول مرة ربما منذ زمن طويل للاعتراف بالتخبط والارتباك ثم الفشل؛ وهو أمر لم يعتده الكثيرون فى ضوء الغطرسة الإسرائيلية المعهودة وأسطورة التفوق العسكرى المطلق، واحتكار القدرة على الردع فى المنطقة؛ وهو ما سلمت به أغلب دول العالم عمومًا، ودول منطقة الشرق الأوسط خصوصًا.

أما الفريق الثالث فقد انصرف إلى إلقاء التهم وإعمال عقلية المؤامرة فى تفسير الحرب، وكأنها مسرحية وضع النص لها القطب الأمريكى، كما قام أيضًا بتوزيع الأدوار، ووقف موقف المراقب والمشاهد من وراء الكواليس، ثم تدخل عند اللزوم لتسيير الأحداث؛ فمن حديث عن تحريض أمريكى وصل إلى حد التواطؤ مع آليات المجتمع الدولى ممثلة فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، إلى تحليل للحرب برمتها بوصفها أحد تطبيقات الحرب بالوكالة، وكونها تعكس مواجهة غير مباشرة بين معسكر الغرب الأمريكى/ الأوروبى ومعسكر إيران/ سوريا/ حزب الله.

وبغض النظر عن اجتهادات التفسير الذى اختلفت مدارسه وتنوعت معها أسباب اندلاع الحرب؛ فقد لعبت تلك الحرب بجدارة دور اللحظة الكاشفة فى حياة المنطقة عمومًا، وفى حياة الوطن العربى على وجه الخصوص؛ فمواقف الدول العربية فرادى (رسميًا وشعبيًا) سلطت الضوء على مواطن للقوة وأخرى للوهن، وجسدت الفجوة الشهيرة بين الحكومات والشعوب، وما يرتبط بذلك من وضع مأزوم للدولة، وجهود هزيلة للمجتمعات فى رأب الصدع، وإصلاحات تعانى التعثر فى خطواتها والتأرجح فى وتائرها تحت وطأة ضغوط الداخل والخارج. ومواقف الدول العربية مجتمعة ـ عبر آلية الجامعة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامى أو مجلس الأمن ـ أعادت بدورها فتح ملف العمل العربى المشترك، وتعددت هنا أيضًا التشخيصات؛ ما بين قائل بوصول الجامعة إلى العجز والشلل، إلى قائل بوفاتها، وفى الحالتين العلاج مستعصٍ، وإن كان فى نظر البعض ما زال غير مستحيل.

إذن فإن الخلاف قد امتد إلى تكييف كنه النتيجة التى باءت بها هذه الحرب، وأحاط الالتباس بتعيين من المنتصر ومن المهزوم، حتى قيل إن هذه الحرب أفرزت معنى جديداً للنصر، أو أعادت تعريف مضمون الانتصار. وهكذا طرحت هذه الحرب السؤال المحورى على بساط البحث: ماذا عن المستقبل؟

لا جدال أن محاولة الإجابة فيها متسع للجميع من شتى التخصصات، ومن مختلف الأجيال، وإن كانت خبرة الجيل الأكبر تفتح الطريق أمام الجيل الجديد؛ فلا شك فى أن هذا الجيل الجديد هو وحده الذى سيسلك هذا الطريق.

وفى إطار التزام المركز بدراسة القضايا الحيوية التى تتعلق بمستقبل الوطن العربى ومصالحه، وكذلك المصالح القومية المصرية؛ فقد قرر المركز عقد المؤتمر السنوى «العشرين» لدراسة تداعيات الحرب الإسرائيلية اللبنانية على مستقبل الشرق الأوسط.

وتدور المحاور العامة للمؤتمر حول ما يلى:

١ ـ الإطار الدولى والإقليمى للحرب.

٢ ـ إستراتيجية الحرب.

٣ ـ التغطية الإعلامية للحرب، وتحليل الخطاب السياسى لأطراف الصراع (الحرب النفسية).

٤ ـ المواقف الدولية إزاء الحرب.

٥ ـ المواقف الإقليمية الرسمية.

٦ ـ مواقف المجتمع المدنى.

٧ ـ الآثار الداخلية للحرب.

٨ ـ رؤى مستقبلية.

عبد المنعم المشاط ـ ناهد عز الدين